**المحاضرة 3: العالم بين القدم والحدوث**

**مشكلة العالم بين القدم والحدوث** **:**اختلف الفلاسفة في طبيعة الكون ، هل هو قديم أم محدث ؟ فوضعوا نظريات مختلفة حول قِدم العالم وحدوثه . ولكن قبل عرض النظريات ينبغي أن نتعرّف بعض المصطلحات الفلسفية الرئيسة التي تُستخدم في صياغة هذه النظريات وشرحها ومنها :

1- القديم : هو الموجود الذي لا بداية لوجوده ، وهي صفة تُطلق على الله تعالى ؟ لأن الله موجود منذ الأزل ، وليس ثمة زمان سابق على وجوده .

2- الحادث : الحادث عكس القديم ، وهو الموجود الذي وُجِد في زمان ما ، ولم يكن قبل هذا الزمان موجوداً .

3- الحركة : هي كل تبدل أو تغيّر يطرأ على الموجود ، كانتقاله في المكان أو الزمان ، أو تغيّر صورته أو هيئته أو صفاته ، وهي حالة ملازمة لكل الموجودات ، إما داخلية كحركة الإنسان والنبات ، وإما خارجية كحركة العربة التي يجرها الحصان .

4- الزمان : هو عدد الحركة ، فالحركة مرتبطة بالزمان ؟ لأن التغيّر لايكون إلا في زمان .

5- الخلق : وهو نوعان ، إما إيجاد شيء من عدم ، وهو الإبداع ، وإما إيجاد شيء من شيء سابق عليه ، وجاء القرآن الكريم ( وخلقنا الإنسان من طين كالفخّار ).

6- الأزلي : هو الذي ليس له بداية في الزمان .

7- الأبدي : هو الذي ليس له نهاية في الزمان .

8- السرمدي : هو الذي لا بداية له و لانهاية ، وتطلق هذه الصفة على الله وحده .

أولاً – مشكلة أصل العالم : 1- تساءل اليونانيون القدماء عن أصل العالم والمبدأ الأول الذي تعود إليه كل الموجودات في الكون . واختلفوا في تحديد أصل العالم ، فأرجعه طاليس إلى الماء ، و أنكسيمندريس قال أن أصله جوهر سرمدي غير محدد سماه ( الأبيرون – أو اللانهائي ) ، وهو مزيج من الأضداد ،ثم جاء أنباذقليدس ورأى أن العناصر الأربعة ( الماء والهواء والتراب والنار ) هي مبادئ كل الموجودات في الكون ، أما ديموقريطس يفترض أن الذرات هي المبادئ الأولى للوجود .

2- ورغم هذا الاختلاف في تحديد أصل العالم اتفقوا جميعاً على أن الكون لم ينشأ من عدم مطلق ، فلا يمكن أن يصدر شيء عن لاشيء

ثانياً – قِدَم العالم عند أرسطو : أ - قدّم أرسطو أول نظرية مكتملة في قدم العالم ، وتقوم على ثلاثة مفاهيم فلسفية أساسية هي : المادة والحركة والزمان .

1- المادة : افترض أرسطو أنّ الكون نشأ عن مادة أولية بسيطة ليست مركبة ، ليست متعيّنة في شكل ما ، وليس لها صورة محددة ، ولمّا تحركت هذه المادة اتخذت صوراً متمايزة ، ونشأت عنها أصناف الموجودات المختلفة .

2- الحركة : اعتقد أرسطو أنّ الحركة تحتاج إلى محرك هو الإله ، وهو المحرك الأول اللا متحرك فالله علة الحركة ومسبّبها ، وهي معلولة له ، ويرى أرسطو أن العلة والمعلول يجب أن يكونا متساوقين (لا يسبق أحدهما الآخر ) وبما أن وجود الله قديم منذ الأزل ، فالحركة قديمة وموجودة منذ الأزل .

3- الزمان : الزمان مقرون بوجود الحركة ؟لأن الحركة لا تحدث إلاّ في زمان ، والزمان عدد الحركة ومادامت الحركة قديمة وموجودة منذ الأزل فالزمان قديم وأزلي .

**رابعاً – حدوث العالم عند الكندي** : 1- هو أبو يعقوب يوسف بن إسحاق الكندي ، في زمن المعتصم ( القرن التاسع الميلادي ) لقبه " فيلسوف العرب "؟ لأنه أوّل الفلاسفة المسلمين على الإطلاق ينتسب إلى قبيلة كِنده العربية .

2- عرف الكندي فلسفة أرسطو وتعمّق في دراستها فوافقه في نظريات كثيرة وخالفه في نظرية قِدَم العالم ، حيث برهن الكندي في نظريته على أن العالم مخلوق وليس قديماً ، وأنّ الله هو خالقه ومبدعه من العدم .

3- ولكي يبرهن الكندي على نظريته في حدوث العالم ، استخدم نفس المبدأ الذي استخدمه أرسطو قبله ، والذي يقول إنّ الحركة والزمان والمادة مرتبط بعضها ببعض ، و لايمكن لأي واحد منها أن يسبق الآخرين في الوجود ؛ فإثبات حدوث أي من العناصر الثلاثة يكفي لإثبات حدوثها جميعاً ، ومن ثمّ فهي مخلوقة وليست قديمة ، وبذلك يكون العالم مخلوقاً .

4- اعتقد الكندي أن كل قديم لا متناه ، لا بداية له ولانهاية ، والزمان ليس قديماً ، و لايمكن أن يكون بلانهاية ؟ لأنه لو كان بلا نهاية لكانت الحركة بلا نهاية أيضاً ، ولكن بما أن الزمن الماضي ينتهي إلى الزمن الحاضر ، وتنتهي الحركة السابقة إلى الحركة الحالية . إذاً فالزمان والحركة متناهيان ، وبما أنهما متناهيان فالجسم متناه مثلهما ، والعالم المكوّن من هذه الأصول الثلاثة متناه أيضاً ، وبما أنّه متناه ،فهو مخلوق بالضرورة ، خلقه الله من عدم ، فالله مبدع العالم وخالقه << الله مؤيس الأيسات عن ليس >> . و الأيس و الليس هما الوجود والعدم .

**خامساً – قِدَم العالم عند الفارابي (نظرية الفيض )** : 1- الفارابي أول فلاسفة المسلمين الذين قالوا بقدم العالم ، وذهب إلى أنّ علة وجود العالم هي الله ، لكن العالم قديم مع الله وليس مخلوقاً ، والله لا يتقدّم على العالم بالزمان ، لأن كلاهما أبدي ، ولكنّ الله يتقدم على العالم بالرتبة والشرف وسبق العلة على المعلول .

2- من ناحية ثانية ، برهن الفارابي بطريقة عقلية أنّ الزمان قديم أيضاً ؟ لأنه لو كان الله متقدماً على العالم بالزمان ، فسيلزم أن يكون قبل العالم زمان كان العالم فيه معدوماً ، وكان قبل الزمان زمان آخر ، وهكذا إلى ما لانهاية ، وهذا ( خُلف ) أو تناقض لا يقبله العقل ، لذلك فالعالم والزمان قديمان مع الله ، ولكنهما دونه مرتبة وشرفاً .

3- ولكي يفسّر الفارابي وجود العالم ، عمد إلى تطوير آراء أرسطو في الموجود ، ونظرية الفيض الأفلوطونية ، حيث قسّم الموجودات إلى قسمين : موجودات روحية و موجودات مادية ، وجعل لكل قسم مراتب خاصة به .

**سادساً – قدم العالم عند ابن سينا** :1- عالج ابن سينا مشكلة العالم من خلال نظرية الفيض التي يبيّن فيها علاقة واجب الوجود (الله) بممكن الوجود (العالم) ، وخالف أرسطو الذي قرّر قدم العالم بالذات وبالزمان ، يقول ابن سينا أن حصول الممكن هو نتيجة لفعل الواجب ، وعليه يكون العالم قد صدر عن الله منذ الأزل .

**حدوث الزمان : انتقد الغزالي** حجج القائلين بقدم الزمان ، واعتبره مجرد توهم لفظي لا يقوم على أساس منطقي صحيح ؟ لأن الزمان واحد ، وهو حادث بحدوث العالم ، ولأن الزمان حادث فلا يمكن أن يوجد زمان قبله .

**ثامناً – التوفيق بين القدم والحدوث عند ابن رشد** : 1- رأى ابن رشد أنه لايوجد في الآيات القرآنية على ما ينصّ على أنّ الله خلق العالم من عدم محض ، حيث تشير بعض الآيات إلى موجود سابق على خلق العالم ، لذلك اعتقد ابن رشد بوجود مادة أولية قديمة خُلِق منها العالم ، والله هو خالق العالم وصانعه .

2- أما الفلاسفة الإسلاميون فقد أضافوا مرجعاً جديداً حول أصل الوجود ، هو العقيدة الإسلامية و ما تضمنته آيات القرآن الكريم ، فوضعوا نظريات موسعة حاولوا التوفيق فيها بين الأدلة النقلية من القرآن الكريم و الأدلة العقلية في الفلسفات القديمة . وانتهوا إلى ثلاث فرق : الأول فريق وافق القدماء في القول بقدم العالم مثل الفارابي وابن سينا ، والثاني خالف القدماء ووضع نظرية تقول بخلق العالم ، وأنّ الله هو صانعه ومبدعه من عدم مثل الكندي والغزالي ، وفريق ثالث حاول التوفيق بين الحدوث والقدم مثل ابن رشد .

3- ورغم اختلاف النظريات الإسلامية في أصل العالم ، فإنها اعتمدت جميعها على الأدلة العقلية والتفكير المنطقي في إثبات وجهات نظرها المتباينة ، فلم يكتف القائلون بالقدم بالنظريات الفلسفية السابقة عليهم ،بل طوّروها و أضافوا عليها ، ولم يكتف القائلون بالحدوث بالأدلة النقلية من القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية ، بل برهنوا عليها بالمبادئ العقلية والحجج المنطقية .